التوازن الفكري والعملي في الإسلام وأثره على الفرد والمجتمع

إعداد

م. م. عبد الكريم علي عبد الله

جامعة الأنبار

الملخص

تعيش مجتمعاتنا اليوم من التفكك والتشرذم, والصراعات الفكرية والدينية التي تنتهج منهج التعصب والغلو الفكري والعملي, ولذلك فإن منهج التوازن بات اليوم ضرورة ملحة يجب تحقيقها بين أفراد المجتمع؛ لبناء مجتمع متماسك تسوده المحبة والأخوة والطمأنينة والسلام والتعايش السلمي بين الناس.

ودراسة التوازن والوسطية من مواضيع الساعة؛ لما نراه اليوم من إفراط وتفريط في فهم الإسلام وتطبيقه سواء في العقيدة والعبادات, أو المعاملات, والأخلاق, والاقتصاد, أو في الأمور الاجتماعية, والسياسية, والجهادية, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فأردت في هذا البحث أن أقدم للقارئ صورة واقعية مبسطة عن التوازن الفكري والعملي في الاسلام وانعكاسه على الفرد والمجتمع, بأدلَّة من القرآن والسنة وحياة السلف رضوان الله عليهم , وكشف آثارها الحسنة, وبيان الأسباب المانعة من تحقيق التوازن، مع تقديم الحلول التي تحقق التوازن والوسطية, وتبعدنا عن التطرف والتشدد والغلو بكل أسماءه وأوصافه.

Abstract:

Intellectual and practical balance in Islam and its impact on society, prepared by the researcher: Eng. M Abdul Karim Ali Abdullah

Al-Qaisi Abstract Our societies live today from disintegration, fragmentation, and intellectual and religious conflicts that follow the approach of fanaticism and intellectual and practical extremism. Today, the approach of balance has become an urgent necessity that must be achieved among members of society. To build a cohesive society dominated by love, brotherhood, tranquility, peace and peaceful coexistence among people. The study of balance and moderation are topical topics; What we see today of excessive and negligence in understanding and applying Islam, whether in belief, worship, transactions, morals, economics, social, political, jihadism, and enjoining good and forbidding evil; It presented to the reader an easy and realistic picture of the intellectual and practical balance in Islam and its reflection on the individual society with evidence from the Qur'an, Sunnah and the life of the predecessors. Extremism and hyperbole

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

ففي خضم ما تعيشه مجتمعاتنا اليوم من التفكك والصراعات الفكرية والدينية جرَّاء انتهاج البعض منهج التعصب والغلو الفكري والعملي، الذي أدّى بدوره إلى تفكيك بعض المجتمعات، وتهديد النسيج الاجتماعي، وكل هذا بسبب غياب التوازن وخاصة في المجالات الدينية ؛ فمنهج التوازن بات اليوم ضرورة ملحة يجب تحقيقها بين جميع أفراد المجتمع؛ لبناء مجتمع متماسك تسوده المحبة والطمأنينة والسلام، ويتحقق فيه مبدأ التعايش والسلم الأهلي ؛ فكان هذا البحث محاولة مني لإبراز مفهوم التوازن الفكري والعملي في الإسلام وبيان أثره في استقرار الفرد والمجتمع بصورة عامة.

ولا شك أنَّ موضوع التوازن من أهم موضوعات الساعة؛ ذلك لما نراه اليوم من إفراط أو تفريط في القضايا الإسلامية المتصلة بفهم الإسلام وتطبيقاته بجميع مجالات الدين، سواء في العقيدة، أو في العبادات، أو المعاملات، أو غيرها من مجالات الأخلاق، والاقتصاد، أو في القضايا الاجتماعية، وأمور السياسة والجهاد، وحتى في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا سأحاول في هذا البحث أن أقدم للقارئ الكريم وبصورة مبسطة فهمًا واقعيًا للتوازن الفكري والعملي في الاسلام وانعكاساته على الفرد والمجتمع، وتناول نماذج من صور التوازن من القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم نعرّج إلى الآثار الحسنة للتوازن على الفرد والمجتمع، وسنقف على أهم الأسباب التي تحول دون تحقيق التوازن في المجتمعات، ونحاول أن نجد الحلول والوسائل التي يتحقق فيها مبدأ التوازن، وتبعدنا عن التطرف والتشدد والغلو بجميع أشكاله ومسمياته.

فالمسلم الحق هو المسلم المتوازن المعتدل، سواء في الحاجيات الطبيعية، أو في باب العبادات، أو باب المعاملات، أو حتى في مجال العواطف أو الأحاسيس والأفكار، وفي صور الحياة كافّة، والمنهج المتوازن فيه نجاح وراحة وسعادة الفرد والمجتمع، والخروج عن هذا المنهج فيه الفشل والمعاناة والبؤس والهلاك، وصدق الرسول ﷺ حين قال: «إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[1].

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢، ١٩٩٩م (٢٩٨/٥). وينظر: الإسلام والتوازن

تمهيد

تعريف التوازن الفكري والعملي ومفهوم العلاقة بين الفرد والمجتمع:

التوازن لغةً: مصدر توازنَ يتوازن، توازُنًا، فهو مُتوازِن، وتوازن الشيئان: اتّزنا، أي: تعادلا وتساويا في الوزن، والاتّزان؛ وضع عموديّ ثابت للجسم البشريّ سواء أكان في سكونٍ أم في حركة، والمِيزان: اسم آلة تُوزن بها الأشياء، وهو رمز العَدْل، قال تعالى: «وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ»[١].

وحالة اللاتوازن: خلل، اختلال التَّوازن أو انعدامه، واختلَّ التَّوازن: فُقِد توازنَه[٢].

ومنه: قوله (ﷻ): «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ»[٣].

التوازن اصطلاحًا: إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص[٤]، أو هو مزج بين طرفين متضادين ينتج عنه طرف ثالث متوسط هو الفضيلة[٥].

وفسّر سيد قطب قوله تعالى: «وَالسَّماءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزانَ* أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَان»[٦]، قال: وضع الميزان: ميزان الحق، وضعه لتقدير القيم، قيم الأشخاص والأحداث والأشياء؛ كيلا يختل تقويمها، ولا يضطرب وزنها، ولا تتبع الجهل والغرض والهوى، وضعه في الفطرة، ووضعه في هذا المنهج الإلهي الذي جاءت به الرسالات وتضمنه القرآن، والحقيقة أن الله تعالى خلق الكون كله من عناصر مجتمعة بعضها مع بعض، تسير بالتوازن[٧].

فمعنى التوازن في الإسلام: هو أن يلتزم الشخص المنهج العدل المتوازن، سواء في العبادات أو المعاملات أو الاعتقادات وهو المنهج الوسط بين الغلو والتشدد، وبين التفريط والتقصير.

الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري (ت١٤٣١ه)، وزارة الأوقاف-السعودية، ط١، (د ت) (ص٢١).

(١) سورة الرحمن: الآية (٩).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م (٢٤٣٢/٣) مادة: (وزن).

(٣) سورة الحجر: الآية (١٩).

(٤) التنازع والتوازن في حياة المسلم، د. مُحَمَّد بن حَسَن بْن عَقيل مُوسَى الشَّريْف، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، جدة، (د ط)، (د ت) (ص١٣).

(٥) الاتزان الفكري والتعايش مع الاختلاف، مقال على الشبكة العنكبوتية للكاتب اليمني أحمد على الكوماني:
(https://yemen-press.net/article2838.html) .

(٦) سورة الرحمن: الآيات (٧-٩).

(٧) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ (١٣١/١).

ويـرادف مصطلح التوازن مصطلحات عدة من أهمها: العدل والعدالة: وهو ضد الـجور، وهو التوسط بين حالين[١]،

والوسط والوسطية: وهي عدلًا لا إفراط فيه ولا تفريط[٢]، ومنه قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»[٣]، وهي ضد التعصب والتشدد، والقصد: وهو بمعنى استقامة الطريق، جاء في الحديث: «عليكم هديًا قاصدًا، فإنَّه مَن يشاد الدِّين يغلبه»[٤]، وهنالك مرادفات أخرى كالتقويم، والتسوية، والمماثلة، والمساواة، والإنصاف.

معنى التوازن الفكري والعملي:

الفكر لغة: «هو إعْمال الخاطر في الشَّيء»[٥]، يقال: «تفكَّر، إذا رَدَّدَ قلبه معتبرًا»[٦]، وجاء في «المعجم الوسيط» معنى كلمة فكر: «إعمال العقل في الشَّيء، وترتيب ما يعلم ليصل به إلى مجهول»[٧]، وقد وردت مادة (فكر) في القرآن في نحو عشرين موضعًا منها قوله تعالى: «إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ»[٨] وقوله: «فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون»[٩].

أمَّا من الناحية الاصطِلاحيَّة فهو: «قوَّة مطردة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوَّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب».[١٠]

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادى، أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م (١٠٣٠/١).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ناصر الدين (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط١، ١٤١٨هـ (٣/ ٢٧٢).

(٣) سورة البقرة: من الآية (١٤٣).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: (٣٢/٣٣).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي جمال الدين (ت٧١١هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، مادة: (فكر) (ص٣٤٥١/٥).

(٦) مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، ط١٩٩١،١م، مادة (فكر) (٤٤٦/٤).

(٧) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ (٦٩٨/٢).

(٨) سورة المدثر: آية (١٨).

(٩) سورة الأعراف: من الآية (١٧٦).

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار العلم، دمشق، الدار الشامية، ببيروت، ط١، ١٩٩٢م، مادة: (فكر) (ص٨٣ و ٦٤٣).

أو هو: «كل ما انتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى، والعالم، والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكًا»[١].

مفهوم التوازن الفكري والعملي بين الفرد والمجتمع:

مصطلح التوازن الفكري والعملي مصطلح جديد في تراثنا الثقافي والذي تمّ استعماله مضافا الى الفكر والعمل في هذا البحث، ومن خلال ما سبق من التعريفات لمصطلح التوازن والفكر يتبين لنا أننا نعني بالتوازن الفكري والعملي: «هو جميع الأفكار والأعمال التي أنتجتها الشريعة الإسلامية التي تستند عليها، والتي تحث على التعايش مع الاختلافات وقبول الآخرين بمختلف أفكارهم وآرائهم، مادامت تلك الأفكار والآراء لا تخرج عن الأصول والثوابت، فالتوازن الفكري ما يتعلق بالأفكار وأعمال القلب والعقل التي تنعكس إما إيجابا أو سلبا على الجانب العملي» «اعمال الجوارح»[٢].

والإسلام بنظامه، وأصوله، ومفاهيمه، يؤكد على مسألة التوازن الفكري والعملي للفرد والمجتمع، ويعدّها سائدة في كل قيمه وتعاليمه[٣].

وعودة التوازن الفكري والعملي في المجتمعات سيوفر للأمة جميعا الكثير من الطاقات والقدرات التي للأسف تذهب سدى بسبب غياب التوازن في الساحتين العربية والإسلامية، فالتوازن في النظر ينمي الكثير من الطاقات في سبيل البناء والتطوير ووحدة المجتمعات.

---

(١) تجديد الفكر الإسلامي، د. محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط١، ١٩٦٩م (ص٤١).

(٢) ينظر: الاتزان الفكري والتعايش مع الاختلاف، مقال على الشبكة العنكبوتية للكاتب اليمني أحمد على الكوماني: (https://ye-men-press.net/article2838.html).

(٣) ينظر: ملامح حقق الإنسان في التشريع الإسلامي، محمود محفوظ، بحث على الشبكة العنكبوتية: (https://annabaa.org/arabic/rights/20418).

المبحث الأول
نماذج من التوازن الفكري والعملي في المسائل العقدية

تعدّ الأفكار العقدية هي الأساس الذي يحرك الفرد والمجتمع، فالعقيدة من أهم القضايا التي تقوم بمهمة توجيه الفعل والحركة، وهي التي تحافظ على توازن علاقة الإنسان بواقعه وبالمجتمع الذي يعيش فيه، والعقيدة الإسلامية تمتاز بميزات وخصائص عظيمة وجليلة تبرز كمالها وجمالها باتزانها وكونها عقيدة وسطية بين الغلوّ والجفاء، وبين الإفراط والتفريط، فالعقيدة الإسلامية تنسجم مع مختلف القدرات العقلية، البسيطة منها أو المتوسطة أو النابغة، لأنها متوازنة وواضحة وملموسة[١].

قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»[٢]، يقول الإمام الطبري : «وأرى أنَّ الله تعالى ذكرُه إنما وصفَهم بأنهم وسطٌ لتوسُّطهم في الدِّين؛ فلا هم أهل غلوٍّ فيه كغلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهُّب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصيرٍ فيه كتقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنَّهم أهل توسُّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[٣].

ويقول شيخ الإسلام: «فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه، وشرائع دينه من الأمر، والنهي، والحلال والحرام»[٤]. قال تعالى مخاطبا اهل الكتاب: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ»[٥]، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّين»[٦].

يقول سيد قطب عن خاصية التوازن في دين الإسلام: «وقد صانته هذه الخاصية الفريدة من الاندفاعات هنا وهناك، والغلو هنا وهناك، والتصادم هنا وهناك؛ هذه الآفة التي لم يسلم منها أيُّ تصور آخر، سواء التصورات الفلسفية، أو التصورات الدينية التي شوّهتها التصورات البشرية بما أضافته

(١) ينظر: الوسطية مطلبًا شرعيًا وحضاريًا، د. وهبة الزحيلي، المركز العالمي للنشر، الكويت، ط١، ١٤٢٧ه (ص٩).

(٢) سورة البقرة: من الآية (١٤٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (١٤٢/٣).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي تقي الدين (ت٧٢٨ه) دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٩٩٩م، (٦٩/١).

(٥) سورة المائدة: آية (٧٧).

(٦) مسند الإمام أحمد: (٢٩٨/٥).

إليها أو نقصته منها، أو أوّلته تأويلًا خاطئًا وأضافت هذا التأويل الخاطئ إلى صلب العقيدة»[١].

المطلب الأول: التوازن في المسائل العقدية الخاصة بذات الله تعالى وصفاته:

أولًا: التوازن في معرفة الله تعالى ووجوده: فالعقيدة الإسلامية متوازنة في هذا الباب فالإسلام يقول: إن الله هو الذي خلق هذه الحياة، ووضع فيها قوانينها ونواميسها، وهو سبحانه الذي خلق الإنسان وعرّفه بسر وجوده والغاية من خلقه، وإن الله تعالى وضع قوانين الحياة، ووضع قوانين الشريعة التي تنظم هذه الحياة، ففطرة معرفة الله وتوحيده تقوم على منهج التوازن والوسطية، فإذا عرف الإنسان ربه بفطرته نزهه عن الشريك، ومشابهة المخلوقين، ووحده في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته[٢].

فعقيدة الإسلام متزنة في هذا الباب بين كثير من البشر الذين ضلّوا، فمنهم من أنكر وجود الله نهائيًا ولم يؤمن به من الكفار والملاحدة، الذين قالوا إنَّ الدهر أو الطبيعة هي من خلقت الكون، قال تعالى: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ»[٣]، وبين المشبه والمجسمة والحلولية الذين يقولون بتجسيد الإله أو حلوله في إنسان كاليهود وغيرهم الذين قالوا إن الله يحل في أي جسم كان كيف شاء وأين ما شاء، ووصفوا الله بصفات النقص التي تلحق بالمخلوقين، فوصفوه بالبخل، والفقر، قال تعالى: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء»[٤]، أو وكالنصارى الذين وصفوا المخلوق بصفات الخالق وقالوا إن الله ثالث ثلاثة، أو بين من اتخذ كل شيء إله كالهندوسية التي تعبد (٣٣٠) مليون إلهًا[٥]، أو الذين يؤلهون البشر والنجوم والكواكب والشيطان، فالإسلام أنكر كل هذه الآراء العقدية الفاسدة[٦]، فعقيدة الإسلام قائمة على تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل والتجسيم والحلول، وهي قائمة على الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وقائمة على أن الله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[٧]، فالمسلمون لم يجعلوا الخالق متصفا بصفات المخلوق، ولا المخلوق متصفا بصفات الخالق فمنهج الإسلام في العقيدة هو المنهج الوسط المتوازن الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير، لذا بادر أهل العلم وأهل

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م (ص١٣٦).

(٢) ينظر: فطرة الله توازن ووسطية اعتدال وحنيفية، د. مصطفى العزوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، (ص٣٠).

(٣) سورة الجاثية: من الآية (٢٤).

(٤) سورة آل عمران: من الآية (١٨١).

(٥) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٨٨م، (ص٥٦).

(٦) ينظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر بن سليمان العمر، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م. (ص١٣٧-١٣٨).

(٧) سورة الشورى: من الآية (١١).

الفكر المتوازن السوي إلى الاعتقاد بما جاء في قوله تعالى[١]: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[٢].

ثانيًا: التوازن في باب الوعد والوعيد: العقيدة الإسلامية الصحيحة متوازنة في باب الوعد والوعيد (الترغيب والترهيب) بين من أعمَلُوا نصوص الوعد، وأهملوا نصوص الوعيد، وبين من أعملوا نصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد، فالعقيدة الإسلامية وسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء؛ فأعملت نصوصَ الوعد، ولم تهمل نصوص الوعيد، بل جمعت بينهما، وهذا هو منهج القُرآن؛ ترغيب وترهيب، رجاء وخوف، جنَّة ونار[٣]، قال تعالى: «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ*وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ»[٤].

ثالثًا: التوازن في باب الإيمان بالقدر: وفي باب الإيمان بالقضاء والقدر نجد أن سمة التوازن تتضح جلية في العقيدة الإسلامية الصحيحة بين اللذين يزعمون أنَّ العبد ليس له مشيئة، وأنَّه مجبور على فعله، ليس له فيه مشيئة ولا اختيار، فهو عندهم كالورقة في مهبِّ الريح، وإنما تُنسَب الأعمال إليه مجازًا، والفاعل الحقيقي هو الله تعالى، قال تعالى على لسان هؤلاء: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ»[٥]، وبين الذين لا يؤمنون بقُدرة الله الشاملة ومشيئته النافذة، ويقولون: إنَّ أفعال العباد ليست داخلةً تحت القضاء والقدر، فالله عندهم لا يُقدِّر على العباد أفعالهم، وليست لمشيئته تعلُّقٌ بها، فلا يهدي الله ضالًا، ولا يضلُّ مهتديًا، وإنما العبادُ هم المحدثون لأفعالهم الخالقون لها[٦].

وهذان الطرفان قد انحرفا عن الحق والطريق الصحيح المتوازن، فمنهم من أنكر الاستدلال بالقضاء والقدر على الحوادث التي تقع، ومنهم من فهم القضاء والقدر على أنه تواكل وخمول وخنوع مُذل، وكلا الرأيين منحرف ومجانب للصواب؛ فالإيمان بقضاء الله ﷻ وبعلمه وتقديره للأمور قبل وقوعها، ثم مشيئته، وخلقه لها، وأنه له الحكمة البالغة في كل ما يقضيه ويقدره، وأن من وراء ذلك رحمته، وإرادة الخير واليسر لعباده.. فعقيدة المسلمين متزنة بين هذين القولين؛ فالعبد له مشيئةً واختيارًا، وأنَّه

---

(١) ينظر: الوسطية مطلبًا شرعيا وحضاريًا، د. وهبة الزحيلي، المركز العالمي للنشر، الكويت، ط١، ١٤٢٧هـ (ص١٠).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٨).

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٩٠٧م (٣٤/١).

(٤) سورة الحجر: الآيتان (٤٩، ٥٠).

(٥) سورة الأنعام: من الآية (١٤٨).

(٦) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية»، الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، (ص ١٨٦).

الفاعل الحقيقي لأفعاله، ولكنَ مشيئته تحت مشيئة الله تعالى، والله هو خالق الإنسان وخالق أفعاله[١] قال تعالى: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ*وَمَا تَشَاؤونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»[٢].

المطلب الثاني: التوازن في المسائل العقدية الخاصة بالمكلفين:

أولًا: التوازن في إطلاق لفظ المسلم والمؤمن على مرتكب الكبائر: العقيدة الإسلامية الصحيحة وسطٌ في هذا الباب بين من سلب صفة الإيمان والإسلام عن مرتكب المعاصي والذنوب، وبين من يقول: إنَّ مرتكب الكبائر مؤمنٌ كامل الإيمان، وارتكاب الكبائر لا يُؤثِّرُ في الإيمان، ولكن على الصحيح من العقيدة الإسلامية أن مرتكب الكبيرة دون الشرك بالله مؤمنٌ ناقص الإيمان، فلا يُعطى الاسم على الإطلاق، ولا يسلبه على الإطلاق، أمَّا حكمه في الآخِرة فهو تحت مشيئة الله، إنْ شاء غفر له وإن شاء عذَّبه على قدر ذنبه، ثم أخرجه من النار فلا يُخلَّد فيها[٣]، ففُسَّاق المسلمين معهم بعض الإيمان، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنَّة، وأنهم لا يخلَّدون في النار، بل يخرج الله مَن كان في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من إيمان، وأنَّ النبيَّ ادَّخر شفاعته لأهل الكبائر من أمَّته[٤].

ثانيًا: التوازن في الجمع بين الأخذ بالأسباب وبين التوكُّل: ومن مظاهر التوازن في عقيدة أهل الإسلام الجمع بين التوكُّل على الله وبين الأخذ بالأسباب معًا، على وفق قولِه عليه الصلاة والسلام: «احرِصْ على ما ينفعُك، واستَعِنْ بالله»[٥]، فقوله: «احرِصْ على ما ينفعُك»، أمرٌ بكلِّ سببٍ ديني ودنيوي، أمرٌ بالجدِّ والاجتهاد والسعي ففيه نيَّة وهمَّة، وفعل وتدبير، وقوله: «واستعِنْ بالله» أمرٌ بالإيمان بالقضاء والقدر، والتوكُّل على الله حقيقة في جلب المنافع ودفع المضارِّ.

ومثل ذلك حديث صاحب الناقة الذي جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: «اعقلها وتوكل»[٦]. فالتوكُّل لا بُدَّ فيه من الجمع بين الأمرين: فعل السبب، والاعتماد على المسبِّب وهو الله تعالى، فمَن عطَّل السبب وزعم أنَّه متوكِّل فهو في الحقيقة متواكل مخدوع، وفعله

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية (ص٣٤).

(٢) سورة التكوير: الآيتان (٢٨و٢٩).

(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٧٣/٧-٦٧٩).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٣٧٤/٣-٣٧٥).

(٥) المسند الصحيح=صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، ودار الأفاق الجديدة، بيروت (٢٠٥٢/٤).

(٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م (٥١٠/٢).

هذا ما هو إلا عجزٌ وتضييع، ومَن قام بالسبب ناظرًا إليه، معتمدًا عليه، غافلًا عن المسبِّب، معرضًا عنه، فعمله هذا عجزٌ وخذلان، ونهايته ضياع وحرمان[١]، فالعقيدة الإسلامية متوازنة في هذه المسألة بين من نفوا الأسباب والقُوَى والطبائع والغرائز جملة وتفصيلا واعتمدوا على التوكل، وبين من جعلوا الأسباب أمرًا لازمًا لا يمكن تغييره ولا تبديله، بل جعلها بعضهم مستقلَّة بالتأثير فنفوا وأخرجوا التوكل من التأثير في الأحداث.

المطلب الثالث: التوازن في الموقف من الأنبياء والرسل عليهم السلام:

من أهم سمات العقيدة الإسلامية التي تدلّ على اتّزانها، التوازن في الموقف من الرسل والأنبياء وإنزالهم منازلهم، فلم يغلوا المسلمون في الأنبياء كغلو النصارى، حين قالوا إن عيسى ابن الله، وقالوا إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق إلى غيرها من الأوصاف الخاصة بالله تعالى، فغالوا بعيسى عليه السلام وعبدوه وجعلوه آلهة تُعبد من دون الله، قال تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»[٢]، وقالوا إن الرب متكون من ثلاثة أقانيم: (الله «الأب»، الابن «عيسى»، روح القدس «جبريل») فكفروا وضلّوا قال تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ»[٣]. كما ان العقيدة الإسلامية لم تبخس حقوق الأنبياء كما فعل اليهود الذين قصروا بحقّوهم ولم يؤمنوا بهم وكذبوهم وآذوهم وقتلوهم قال تعالى في وصفهم: «كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ»[٤].

فلا بد لكل مسلم أن يؤمن بالأنبياء والرسل جميعهم وعلى رأسهم خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأنه رسول الله قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وهدى الأمة، وأنه عبد لله ليس في درجة فوق النبوة والرسالة ولا دونها، وعقيدة المسلمين مبنية على الإيمان بعصمة الأنبياء عليهم السلام فهم معصومون عن الخطأ، قال تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»[٥]، والمسلمون «يخالفون في إيمانهم هذا اليهود الذين أقروا بنبوة موسى وكذبوا عيسى، وبين النصارى الذين أقروا بنبوة موسى وعيسى

(١) ينظر: الفوائد المنثورة، خطب ومحاضرات، كلمات ومقالات، عبد الرزاق بن محسن البدر، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ (ص ٣٥-٣٧).

(٢) سورة المائدة: من الآية (٧٢).

(٣) سورة المائدة: من الآية (٧٣).

(٤) سورة المائدة: من الآية (٧٠).

(٥) سورة البقرة: من الآية (٢٨٥).

وكذبوا نبوة محمد ﷺ، وجحدوا نبوته، ومن أشبههم من الأمم الذين كذبوا بعضَ رسل الله، وآمنوا ببعضهم»[1]. ولكن في العقيدة الإسلامية الأنبياء عليهم السلام دينهم واحد وهو الإسلام وشرائعهم مختلفة، وكلهم دعاة لعقيدة التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة، وهم براء مما نسب إليهم من العقائد الباطلة المنحرفة[2]، وهذه أمثلةٌ قليلة ضُرِبت في بيان وسطيَّة الإسلام في العقيدة، وهنالك مظاهر أخرى لتوسطهم في باب الاعتقاد لا يسع المجال لذكرها في هذه الصفحات.

(١) تفسير الطبري (١٢٦/٦).

(٢) ينظر: الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، عبد العزيز عثمان شيخ محمد، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م (ص١٦٤).

المبحث الثاني
نماذج من التوازن العملي في العبادات والمعاملات

المطلب الأول: التوازن في العبادات:

أولًا: التوازن بين العبادات وملذات الحياة: فالإسلام متوازن بين المفرطين المتساهلين الذين انتهكوا حرمات الله فاستباحوا ما حرم الله، فقصروا بالعبادات، وانتهكوا الحرمات، ففرطوا في ملذات الحياة وقصروا في حقوق الله وبين من لزم الرهبانية وانقطع عن ملذات الحياة وانزوا للعبادة فقط كم يدعي ذلك بعض النصارى قال الله تعالى في وصفهم: «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا»[١]، وفي ذلك يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٢]، فسمة التوازن تظهر جليه بين هاتين النزعتين فرغم أن الإسلام دعا إلى العمل للحياة، والسعي في الأرض والمشي في مناكبها لكسب الرزق والاستمتاع بطيباتها، ولكن في نفس الوقت حث على الاستعداد للآخرة والتزود ليوم الحساب، وذلك بالإيمان والأعمال الصالحة[٣]، قال تعالى: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا»[٤]، وكما في قصة الرجال الثلاثة مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الذين سَأَلُوا أَزْوَاجَ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَقَالَ ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٥]، ومن ذلك ما جاء في خبر أبو الدرداء الذي اعتكف للعبادة وانقطع عن أهله، فقال له سلمان: «إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «صدق سلمان»[٦]. فلا بد من إقامة الحقوق الأخرى قبل القيام بالعبادات التطوعية، ونعني بها حقوق الزوج والأولاد وما

(١) سورة الحديد: من الآية (٢٧).

(٢) الجامع الصحيح المختصر=صحيح البخاري، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م، (١٦/١).

(٣) ينظر: الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة (ص٣٦).

(٤) سورة القصص: من الآية (٧٧).

(٥) صحيح مسلم: (١٠٢٠/٢).

(٦) صحيح البخاري: (٢٩٦/٧).

يماثلها مما يتعلق بذمّة الشخص.

ثانيًا: التوازن في الصلاة والصيام والحج والزكاة: من وسطية الإسلام في العبادات التوازن في فرائض الإسلام الخمس، ومنها الصلاة سواء في تحديد أوقاتها، وعدد ركعاتها، وتخصيص الفرض منها الذي لابدّ أن تؤديه، وبين المندوب منها الذي تؤجر عليه ولا تؤثم على تركه، والتيسير في صلاة المسافر من قصر وجمع، وصلاة المريض الذي يصليها حسب طاقته، والحائض والنفساء التي تعفى من الصلاة والقضاء، وغيرها من التوازنات والتساهلات في أداء الصلاة، والمتأمل فيما جرى في حادثة الإسراء والمعراج من فرضية الصلاة على النبي محمد ﷺ ومراجعته لربه سبحانه في تخفيف عدد الصلوات من خمسين إلى خمس صلوات، يعلم أن ديننا دين التوازن ودين اليسر والتيسير. ومن صور التوازن قوله عليه الصلاة والسلام: «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»[1]، ومن صور التوازن التخفيف في صلاة القيام قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا»[2].

• **ومن التوازن في العبادات التوازن في الصوم:** فلقد نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصوم وهو مواصلة صيام الليل بالنهار، كما حدد الإسلام أيام الصيام الواجب صيامها بشهر واحد فقط، وصيام النهار فقط، والتمتع بالأكل والشرب والجماع ليلا قال تعالى: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ»[3]، كما يباح الإفطار للمسافر والمريض والحامل والمرضع والشيخ الكبير ويقضون متى استطاعوا ذلك وإن تعذر دفعوا الفدية قال تعالى: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ»[4].

• **ومن التوازن في أركان الإسلام التوازن في أداء الزكاة:** فشرعت الزكاة في الإسلام لأهداف سامية تعود على المجتمع بالأثر العظيم، إذا ما أديت بشكل صحيح، فهي تسهم في إيجاد صورة من التوازن المجتمعي بين الأغنياء والفقراء، وتغنيهم عن السؤال بما يجسد قيمة التراحم والتكافل التي حث الإسلامي عليها، كما ان هنالك صور للتوازن في اخراج الزكاة نفسها، فالله تعالى لم يوجبها على

(١) صحيح مسلم: (٢١٧١/٤).

(٢) سورة المزمل: آية (١-٤).

(٣) سورة البقرة: آية (١٨٧).

(٤) سورة البقرة: من الآية (١٨٤).

جميع المسلمين، بل أوجبها على أغنيائهم بشروط وضوابط، ومن أهمها أنها لا تجب إلا على من ملك النصاب، وحال عليه الحول، كما ان هنالك توازن في استخراج الأوسط من الأموال والمواشي والزروع، جاء في الحديث: «ثلاثٌ مَنْ فَعَلَهنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: مَنْ عَبَدَ الله وحدَه وأنَّه لا إله إلا الله، وأعطى زكاةَ مالِه طيبةً بها نفسُه، رافدةً عليه كل عام، ولا يُعطي الهَرِمة، ولا الدَّرِنَة، ولا المريضَة، ولا الشَّرَطَ اللَّئيمةَ، ولكن من وَسَطِ أموالِكُم، فإنَّ الله لم يسألْكُم خَيرَه، ولم يأمُرْكُم بشَرِّه»[١].

• **التوازن في أداء الحج:** ومن صور التوازن في العبادات التوازن في وجوب الحج، فلم يوجب الإسلام الحج في كل عام، ولا يجب على العاجز ولا على الفقير ولا على الخائف ولا على المرأة التي ليس معها محرم، قال تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»[٢].

ثالثًا: التوازن في استعمال الماء والتراب للتطهر وإزالة النجاسة: فتعاليم الإسلام متوازنة في باب التطهر وإزالة النجاسة، فلم يضيق الله تعالى على المسلمين في الطهارة وازالة النجاسة كما عند اليهود، الذين تجاوز بهم الوسواس إلى الآصار والأغلال، وكان التطهر من النجاسة عندهم إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه بالمقراض، وإذا حاضت المرأة لا يواكلونها ولا يشاربونها ولا يجالسونها، ولا يسمحوا لها أن تعد الطعام، ولم يرفع الله عن المسلمين طهارة الخبث والحدث كما رفعته النصارى فتعبَّدوا بالنجاسات، فيصلون بالنجاسة والجنابة، ويقوم أحدهم فيتغوط، ويقوم بأثر البول والغائط إلى صلاته بتلك الرائحة، ولا يضر ذلك، وإن دعته الحاجة إلى البول في الصلاة بال وهو يصلي ولا يضر ذلك، ويجوزون وطء الحائض، بل اعتبر البعض منهم مباشرة النجاسة من أنواع القرب والطاعة، حتى قيل في فضائل الراهب «له أربعون سنة ما مس الماء»، وفي تعاليم النصارى أنه ليس هنالك شيء نجس يحرم أكله، أو تحرم الصلاة معه[٣].

رابعًا: التوازن في الترشيد وعدم الإسراف: نهى الإسلام عن التبذير والإسراف قال تعالى: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ»[٤]، ومن صور التوازن في الترشيد وعدم الإسراف التوازن في تناول الطعام والشراب حتى إن توفرت وبذلت قال تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»[٥]، وقال عليه الصلاة والسلام : «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حسبك يا بن آدم لقيمات يقمن صلبك، فإن

(١) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م (٣٢/٣) صححه المحقق.

(٢) سورة آل عمران: من الآية (٩٧).

(٣) ينظر: أدلة القرآن في الكتاب والسنة، د. محمد بن عمر بازمول، بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو. (ص ١٣)

(٤) سورة الإسراء: من الآية (٢٧).

(٥) سورة الأعراف: من الآية (٣١).

كان لابد، فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نفس»[١]، وعند مراجعتنا لسيرته عليه الصلاة والسلام نجد أنه لم يشبع من طعام قط حتى وإن كان جائعا.

• **ومن صور التوازن في الانفاق والصدقات:** فالإسلام دين التكافل وتعاليمه تحثنا على البذل والتصدق، وتنهانا عن البخل والشح، والتوازن في الإنفاق من صفات عباد الرحمن قال تعالى: «وَالَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»[٢]، فلا بد من التوازن بين البخل والشح وبين الإسراف والتبذير، قال تعالى موصيا بلزوم التوازن في الانفاق: «وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا»[٣]، وقال سبحانه: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»[٤]، وقال جل في علاه: «وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا»[٥]. والمعنى: ولا تمسك يدك عن الإنفاق في الخير، وتجعلها كأنها مربوطة في عنقك بِغِل من الحديد لا تقدر على مدها، ولا تبسطها كل البسط بالإسراف في الإنفاق، فتصير مذمومًا على الإمساك نادمًا أو منقطعًا لا شيء عندك بسبب التبذير والإسراف[٦].

ومن التوازن والوسطية في الإسلام تحديد نوعية الطعام الذي يطعم في كفارة اليمين بأوسط طعام المكلف الحانث قال تعالى: «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ»[٧]، قال ابن عباس: كَانَ الرَّجُلُ يَقُوتُ أَهْلَهُ قُوتًا دُونًا، وَبَعْضُهُمْ قُوتًا فِيهِ سَعَةٌ، فَقَالَ اللَّهُ: «مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ»[٨].

---

(١) صحيح ابن حبان: (٤١/١٢).

(٢) سورة الفرقان: آية (٦٧).

(٣) سورة الإسراء: آية (٢٩).

(٤) سورة الفرقان: آية (٦٧).

(٥) سورة الإسراء: آية (٢٦،٢٧).

(٦) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر، مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٩٩٥م (٤١٤/١).

(٧) سورة المائدة: من الآية (٨٩).

(٨) تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٠،١م (٣٢/٧).

خامسًا: التوازن في الدعاء: لا شك ان «الدعاء هو العبادة»[١]، وقد أمر الله تعالى بالتوازن والتوسط في الدعاء بين الجهر والإخفات فقال تعالى: «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا»[٢]، والأمر في ذلك أن يكون الدعاء متوازنا بين رفع الصوت وبين السر.

من هنا كان لابد من تحقيق جوانب التوازن في العبادات في تحقيق الأولوية بإقامة الفرائض ومن ثم النوافل والمندوبات، كما لا بدّ من إقامة الحقوق الدنيوية الأخرى من حقوق الزوجة والأولاد وبر الوالدين وغيرهما بحيث لا تطغى النوافل عليها، ومن المهم تحقيق الشمولية في العبادة فيكون هنالك توازن في العبادات البدنية، بين صلاة وصيام وصدقة وذكر ودعاء وغيرها من العبادات البدنية.

المطلب الثاني: التوازن في المعاملات:

أولًا: التوازن في مخالطة المسلمين: حثَّ الإسلام على مخالطة المسلمين بعضهم لبعض في الجمعة والجماعات ومجالس العلم والذكر، ودعوات الطعام، وزيارة المريض، وصلة الرحم، وغيرها من الزيارات، كما حث الإسلام على التمسك بالجماعة فقال ﷺ: «يد الله مع الجماعة»[٣]، وفي نفس الوقت نهى عن مخالطة السفهاء، والابتعاد عن مجالس اللهو والغيبة وغيرها من اللقاءات الغير شرعية قال عليه الصلاة والسلام: «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٤].

وبهذا تكون تعاليم الإسلام متزنة بين من قصر بعدم اختلاطه بالناس فاعتزلهم وهجرهم، وبين من تجاوَزَ بقومٍ حتى خالط الظلمِين وأهل المعاصي والآثام، قال ﷺ: «المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم أَعظمُ أَجرًا من الذي لا يُخالطهم ولا يصبر على أذاهم»[٥].

فمخالطة الناس بالخلق الحسن يحقق التوازن بين الإنسان وأخيه الإنسان فيتحقق القرب من الناس، ويتحقق النجاح في العلاقات، قال الشافعيّ مرشدًا تلميذه يونس عبد الأعلى: «يا يونس: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقُرناء السُوء، فكن بين المنقبض

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي النيسابوري ابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م. (٦٦٧/١).

(٢) سورة الإسراء: من الآية (١١٠).

(٣) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م، (٣٦/٤).

(٤) سنن الترمذي: (٣٥٥/٤) وقال حديث حسن.

(٥) مسند الإمام أحمد (٤٨٦/٤) صححه الأرناؤوط.

والمنبسط»[١]، والضابط في المخالطة أن يخالط الناس في الخير والصلاح، كالجمعة والجماعة والأعياد والحج وتعلم العلم والجهاد، ويعتزلهم في الشر والفجور وفضول المباحات ومجالس اللهو والغيبة.

ثانيًا: التوازن في المشي والكلام والضحك: فلكي يكسر الإنسان حاجز التكبر، فتعاليم الإسلام تحثنا على الاتزان في الكلام والمشي والضحك فلا نتكبر ونتبختر في مشينا وكلامنا، وفي نفس الوقت لا نمشي مشيا لا يليق بكرامة الإنسان ولا يقلل من شأنه، وعند التكلم مع الآخرين يجب التوازن بين التشدق والتفيهق، وبين التميع والليونة، قال تعالى على لسان لقمان الحكيم موصيا ابنه: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ»[٢].

وفي عدم التشدق والتفيهق بالقول قال ﷺ: «إِنَّ أحبَّكم إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي الثَّرْثَارُونَ الْمُتفيهِقُون الْمُتشدِّقون»[٣]، وهذه من صفات نبينا عليه الصلاة والسلام ففي حديث أم معبد المشار إليه في رحلة الهجرة ما يدلل على ذلك حيث قالت وهي تصف كلامه عليه الصلاة والسلام: «.. حُلْوُ الْمِنْطَقِ، فَصْلٌ لَا هَذْرَ وَلَا نَزْرَ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَنْحَدِرْنَ رَبْعٌ»[٤]، ومن صفاته عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يضحك بصوت عالٍ، لأن ذلك فعل الجاهلين، ومع هذا كان مبتسمًا دائما غير عبوس حتى لا ينفر جلساؤه، فكان بين ذلك متوازنا قواما، وكان يقبل الممازحة ولكنه في نفس الوقت لا يسمح أن يكون الوقت كله للمزاح.

ثالثًا: التوازن في حب الشهوات وملذات الحياة: الإنسان مجبول على حبّ الدنيا وحبّ المال والنساء وملذات الحياة الأخرى قال تعالى: «زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»[٥]، لكن: لا بد من التوازن في نيل وكسب هذه الملذات وعدم التعدّي والتجاوز لتحقيق التوازن في طلبها فلا بد من وضع المال في اليد لا في القلب لأن حب المال إذا تمكّن في القلب يهلك صاحبه، فلا بد من عدم الإغراق في طلب المال، إذ في خضم حماس المسلم وتطلعه إلى جمع المال قد ينسى دعوته

(١) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز شمس الدين (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٩٩١م. (٧٤١/٢).

(٢) سورة لقمان: الآيتان (١٨،١٩).

(٣) صحيح ابن حبان: (٢٣٢/٢) حسن لغيره.

(٤) المستدرك على الصحيحين: (١٠/٣).

(٥) سورة آل عمران: من الآية (١٤).

وعبادته فيقسو قلبه، قال تعالى: «وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا»[١]، فالله تعالى ذكر صفة هؤلاء القوم بأنهم يبالغون في الحب وليس الحب الاعتيادي فهو مباح، قال أبو الدرداء ﷺ)) موضحًا ذلك: «أعوذ بالله من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يُجعل لي في كل واد مال»[٢].

فالإسلام متوازن بين غلاة الواقعيين الذين نزلوا بالإنسان لدرجة البهيمة والحيوان، واستغرقوا فيها فأصبح عبدا للأهواء والشهوات فجعلوا المال هو الأساس في هذه الحياة وبنوا عليه كل شيء فقصروا في أعمال الآخرة، وبين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكًا فوضعوا له من القيم والآداب مالا يمكن تطبيقه والتزامه، فغفلوا عن حاجة الجسد وشهوات النفس من حب المال فانقطوا عن العمل والكسب الحلال[٣]، وانعزلوا للعبادة والرهبنة، ومن أعظم من جمع بين الأمرين من الصحابة عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما)؛ إذ أن كثرة مالهما معروفة، وقد بشرا بالجنة، وفي حب النساء أباح الإسلام التعدد قال تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ»[٤]، وذلك لكي يحافظ المسلم على شهوات نفسه ولكي يقضى الإسلام على الرذيلة التي تقع جراء كثرة العوانس والمطلقات والأرامل وخاصة في هذا الزمان، قال تعالى في وصف المؤمنين: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ*إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ*فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ»[٥]، ولذلك فدين الإسلام متوازن بين من جعل النظرة الشهوانية للنساء هي السائدة فأصبحت النساء عبارة عن سلعة تباع وتشترى دون أي ضابط أخلاقي وديني، كما في البلاد الغربية اليوم الذي يماثل المذهب المزدكي[٦] الذي دعا إلى الشيوعية في الأموال والنساء.. وبين من ترهبن وحكم على نفسه بعدم الزواج سواء من الرجال أو النساء كما في الديانة النصرانية وهي مماثلة لديانة بلاد فارس القديمة أو بما يسمى المذهب الماني[٧] وهو مذهب

(١) سورة الفجر: الآية (٢٠).

(٢) الزهد والرقائق، ابن المبارك، عبد الله بن واضح أبو عبد الله المرزوي (ت١٨١ه)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ (ص٢٢٤).

(٣) ينظر: وسطية الإسلام، أحمد عمر هاشم، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، (ص٢٠).

(٤) سورة النساء: من الآية (٣).

(٥) سورة المؤمنون: الآيات (٥-٧).

(٦) المزدكية: نسبة إلى مزدك: وهو مؤسس هذه المذهب ظهر في بلاد فارس القديمة أيام قباذ والد أنوشروان، كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحلَّ النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما، كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ، ينظر: موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف (١٧٨/٢). موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

(٧) الديانة المانية: ديانة تنسب إلى ماني المولود في عام ٢١٦م في بابل، وزعم أنه يوحى إليه، وكان في الأصل مجوسيًا، وكان يقول بنبوة

فردي، يدعو إلى التقشف والزهد والامتناع عن الزواج، ليعجل الإنسان بفناء العالم، فنظرة الإسلام كانت متوازنة بين الطرفين، فالإنسان مخلوق مركب من العقل والشهوة، فيه غريزة الحيوان وروحانية الملاك، لديه استعداد للفجور ولديه استعداد للتقوى قال تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا»[1].

ومن صور التوازن بين حب الشهوات والملذات أن النبي عليه الصلاة والسلام ومع عدم انجذابه للهو من الأهازيج والدبكات واللعب بالرماح التي كان يفعلها صبيان الحبشة، فقد سمح لسيدتنا عائشة رضى الله عنها أن تنظر وتستمع لهذا اللهو واللعب الذي يفعله بعض الأحباش في ساحة المسجد في العيد، كما سمح للجاريتين أن تغنيا لها في حجرته وقال لأصحابه: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»[2].

هكذا كانت حاله ﷺ في حياته الخاصة والعامة توازن واعتدال ولو شاء لقضى الوقت كله عبادة، أو كله مرح ومزاح، ولكنه توازن فتوسط واعتدال.

رابعًا: التوازن في الطعام والشراب بين الحلال والحرام: فالدين الإسلامي متوازن بين من حرموا ما أحل الله لهم من الغذاء والشراب، وبين من تجاوز بهم الأمر فأطعموا الحرام، فالإسلام لم يحرم شيئا يحتاج إليه الإنسان، كما لم يحلل شيئا يضره أو يؤذيه، وهذا جزء من واقعية المبادئ والقيم في النظرة الإسلامية قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا»[3] وقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»[4]. وفي الجانب الآخر نجد أن الإسلام حرم أشياء فلا يجوز الاعتداء بتناولها قال تعالى: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»[5]، فالإسلام متوازن بين من حلل كل شيء كأمثال بعض الشعوب التي حللت أكل كل دابة على الأرض وأحيانا دون تذكيتها، وبين من حرم ما أحله الله بغير حق، فالمسلم الحق ملتزم بما أمره الله تعالى ورسوله قال

المسيح ولا يقول بنبوة موسى، حاول ماني إقامة صلة بين ديانته والديانة المسيحية وكذلك البوذية والزرادشتية. الموسوعة الحرة: وبيكيبيديا، https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(١) سورة الشمس: الآيات (٧-١٠).

(٢) صحيح البخاري: (١٢٢/٨).

(٣) سورة البقرة: من الآية (١٦٨).

(٤) سورة المائدة: الآية (٨٧).

(٥) سورة البقرة: الآية (١٧٣).

الله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ»[١].

خامسًا: التوازن في التيسير ورفع الحرج: التيسير على الناس والرفق بهم من أهم سمات الشريعة الإسلامية التي تدل على اتزانها ووسطيتها فلقد اعتبر الإسلام مجموعة من الأمور سببا في التيسير والتخفيف منها: المرض، والخطأ، والنسيان، والإكراه، وغيرها، قال تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»[٢]، وقال سبحانه: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ»[٣]، وقال جل في علاه: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»[٤]، وقال نبينا ﷺ)) موصيا بالتيسير والتبشير: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[٥]، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «ما خُيِّر رسول الله بين أمْريْن قط إلا اخْتار أيسرهما»[٦]، وصور التيسير في العبادات والعبادات كثيرة منها التيسير في النكاح، قَالَ عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً»[٧]، ومنها التيسير في البيع والشراء ففي الحديث: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[٨]، فالإسلام دين اليسر والسهولة لا حرج فيه ولا تكاليف شاقة على الناس فوق طاقاتهم.

(١) سورة الأعراف: الآية (١٥٧).
(٢) سورة البقرة: من الآية (٢٨٦).
(٣) سورة البقرة: من الآية (١٨٥).
(٤) سورة البقرة: من الآية (٢٨٦).
(٥) صحيح البخاري: (١٣٣/١).
(٦) صحيح البخاري: (٣٠٦/٢٢).
(٧) شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ (٥٠١/٨).
(٨) صحيح البخاري: (٧٥/٣).

المبحث الثالث
آثار التوازن الحسنة على الفرد والمجتمع

المطلب الأول: آثار التوازن الحسنة على الفرد:

للتوازن آثار مهمة ومميزات كثيرة في حياة هذه الأمة، سواء على الفرد أو على المجتمع بصورة عامة، ومن هذا الآثار الحسنة على الفرد:

١- السلامة من الوقوع في الانحراف والزيغ والتطرف، والابتعاد عن التكفير؛ لأن التوازن في المعتقد يدعوا إلى التزام العقيدة الصحيحة البعيدة عن الإفراط والتفريط.

٢- المداومة والاستمرار على أداء العبادات دون كلل ولا ملل؛ لانعدام المشقَّة التي تدعو إلى التكاسل في أداء العبادات، أو تركها، قال عليه الصلاة والسلام: «يا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ، وَإِنْ قَلَّ»(١). قال ابن بطال رحمه الله: «فَكَرِه ﷺ الإفراطَ في العبادة؛ لئلاَّ ينقطع عنها المرء، فيكون كأنه رجوعٌ فيما بَذَلَه من نَفْسِه لله تعالى، وتطوَّعَ به... وإنَّما صارت هذه الطريقةُ أحبَّ إلى الله؛ من أجل الأخذ بالرِّفق على النفوس، التي يُخشى منها السَّآمة والمَلَل، الذي هو سببٌ إلى ترك العبادة، واللهُ يُحِبُّ أنْ يُدِيمَ فضلَه، ويُواليَ إحسانَه أبدًا»(٢).

٣- الاستقرار النفسي والعاطفي، فمن صور التوازن الرضا بقضاء الله تعالى وقدره؛ وهذا يورث عند المؤمن الصبرُ على الشدائد، والشكر على النعم، وبدون التوازن قد ينجر العبد إلى الغلو والإفراط الذي يؤدي إلى الأمراض النفسية؛ كالحقد والحسد وإلحاق الأذى بالآخرين، وجحود نعم الله، أو الاعتراض على قضاء الله تعالى، قال الإمام الغزالي رحمه الله: «ومَنْ مال غضبه إلى الإفراط حتى جرَّه إلى التَّهور واقتحام الفواحش، فينبغي أنْ يُعالج نفسَه لِيُنْقِصَ من سَورة الغضب، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين»(٣).

---

(١) صحيح البخاري: (٥/ ٢٢٠١)، ومسلم: (١/ ٥٤٠).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م (٣/ ١٢٢، ١٢٣).

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م. (١٦٩/٣).

٤- قلَّة الزلل والخطأ، وكثرة البر والصواب، سواء أكان ذلك في أمور الدِّين أم الدنيا، فصاحب المنهج المتوازن يكون ذا بصيره ودراية بجميع الآراء والأفكار فيختار منها ما يكون ملائما له ولمن حوله وفق ما اراده الله تعالى وارتضاه، وبذلك يرضي الجميع فيحترس عن الخطأ والزلل، ويوفق إلى البر والصواب.

٥- ترويض النفس ومُجاهدتها والارتقاء بها، وهذا يكبح الجوانب السلبية فيها كالكِبر، والغرور، والحسد، والرياء، والتنطع الذي قد يوصل إلى الغلو، فالتوازن النفسي مهم جدا للصحة النفسية، والسعادة والرضا النفسي، وكلاهما متعلقين بالمشاعر الداخلية، وعند ترويض النفس على الرضا بكل ما هو مقسوم، والوصول إلى مرحلة التوازن النفسي، فهو بذلك يصل إلى حالة ديناميكية فريدة، تجمع مزايا السعادة والرضا، فيتزن الإنسان بعد شعوره بالاستقرار النفسي.

٦- التوازن الفكري يصنع شخص متوازن معتدل بعيد عن التعصب للرأي، أو المذهب، ويحترم الآراء المخالفة المعتبرة شرعًا وعقلًا، وتجد أن الشخص المتزن يتحاور بعلمية أدبية هادفة مقرونة بالعلم والحِلم ومنضبطة بمنهج التوازن الوسطي، المستند على الأدلة.

المطلب الثاني: آثار التوازن الحسنة على المجتمع:

فكما أَنَّ للتوازن آثارًا حسنة على الفرد كما مر علينا في المطلب السابق، فكذلك للتوازن آثار حسنة تنعكس على المجتمع بصورة عامة من أهمها:

١- التوازن في الإيمان يمنع الجريمة والانفلات الأمني؛ وذلك لأن التوازن في الإيمان بالله يوقن المؤمن أن الله مطلع عليه في كل ما يفعل وأنه لا تخفى عليه خافية، وأن الملائكة تراقب أعماله وترصدها، ومن كانت حاله هكذا فسيبتعد عن كل معصية، وسيمنع نفسه من الجري وراء رغباتها وشهواتها، فيكون الفرد هادئ النفس مطمئنًا، مما ينعكس هذا الهدوء والاطمئنان ايجابا على المجتمع فيعم السلام والوئام والاستقرار بين الجميع، وينعم العباد بالأمن والأمان[1].

٢- التوازن هو الدرع الواقي للمجتمع من كثير من المشاكل، ومنها المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فالتوازن يهذب السلوك الإنساني ويقيم قواعد العدل، ويربط بين القلوب برباط المحبة والرحمة والمودة، ويعم الاستقرار والرخاء ويسعد بني الإنسان، ومتى وجد التوازن وجد الأمن النفسي

(١) ينظر: الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة (ص١٦٥).

في حياة المجتمع، وإذا فقد التوازن دب في الأمة الفساد وأهدرت القيم وأصبح أمرها فوضى[١].

٣- عند تحقيق التوازن في المجتمع يسود العدل، وبذلك تدوم الدول، فالعدل أساس الحكم، فالتوازن يبقي المجتمع مستقرًا وبعيدا عن الاضطرابات والفوضى، وذلك لأن الإنسان مطمئن على نفسه وماله وكافة حقوقه، وبهذا يعم الأمن والأمان، وكثير ما تقع الجرائم نتيجة لغياب العدل وعدم تطبيقه فيحصل القتل والانتقام؛ ولذلك قيل: «إنَّ الله يقيم الدَّولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدَّولة الظَّالمة، وإن كانت مسلمة»[٢]، قال تعالى: «وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ»[٣].

٤- زيادة الإنتاج في جميع المجالات، فعند سيادة التوازن في المجتمع يشعر الأفراد بأنهم قد استوفوا حقوقهم ومستحقاتهم من غير ظلم ولا جور، وهذا سيكون له الأثر الكبير في تنمية القدرات البشرية وبمختلف المجالات.

٥- توحيد الصفوف وجمع الكلمة، وهذه من أهم الآثار الحسنة للتوازن على المجتمع، وبدون التوازن سينشأ التفرق والتشرذم، جراء الآراء المتشددة التي تدعوا إلى التهاجر والتدابر مع الآخرين بمفاهيم سطحية مغلوطة لبعض النصوص القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو بعض الأقوال والآراء المتشددة لبعض العلماء، بينما الأصل هو الاعتصام وعدم التفرق قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا»[٤]، وقال ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثنين وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[٥].

(١) ينظر: أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء العقيدة، عثمان جمعة ضمير، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ٢٠٠٠م (ص١٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٤٦/٢٨).

(٣) سورة القصص: من الآية (٥٩).

(٤) سورة آل عمران: من الآية (١٠٣).

(٥) صحيح مسلم: (١٩٨٧/٤).

المبحث الرابع
أسباب غياب التوازن، وأهم الوسائل والحلول التي تسهم في إحياءه

المطلب الأول: أسباب غياب التوازن في المجتمعات:

لا شك أننا وفي نهاية هذا البحث، نريد ان نقف على أبرز الأسباب والمعوقات والموانع التي تحول وراء **غياب التوازن**، أو إضعافه في المجتمع، ومن أهم هذه الأسباب والمعوقات:

١- المفهوم المنحرف لمعنى التوازن والوسطية بين الإفراط والتفريط، الذي أدى لدى البعض إلى التشدد والتنطع في تعاليم الدين ففهموا التوازن والوسطية بفهم مغلوط غير صحيح فتشددوا وأفرطوا، فنفروا الناس من تعاليم الدين، فكفروا وفسقوا وبدعوا الكثير من علماء هذه الأئمة، وهجروا مخالفيهم، وغالوا في تطبيق السنن، ولم يغلبوا المصلحة والحكمة في ذلك، وفي الاتجاه الآخر نجد أن هنالك فريقا آخر فسر معنى الوسطية بالتسهيل والسهولة فأخذوا بالرُّخص الشرعية دائما، وتمتعوا بالمباحات وميعوا أحكام الدِّين وتساهلوا فيها، وهذا أدى بدوره إلى بعض التنازلات في الثوابت من القيم والأخلاق، وزعم هؤلاء أن هذا من التيسير والوسطية والمرونة، فكل واحد من هؤلاء الفريقين خرج من دائرة التوازن والوسطية وكل أمر مشابه لهما ليس من التوازن والوسطية في شيء[١]. «فالدِّين المستقيم وسطٌ بين انحرافين»[٢]، فالمسلم صاحب المنهج المتوازن في أفكاره وعباداته يفهم الفريقين فيقف موقفا وسطا بينهما.

٢- الإفراط ومجاوزة الحد في تطبيق التعاليم الدينية، وخاصة السنن والنوافل والأمور الفرعية، التي يثاب العبد على فعلها ولا يعاقب على تركها، والاختلاف الكبير الحاصل في حكم التروك وهي ما سكت عنها الشارع الحكيم.

٣- التفريط والتقصير والتساهل والتهاون في تطبيق الكثير من العبادات والمعاملات بدعوى اليسر والسهولة «وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» قال تعالى: «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا»[٣].

---

(١) ينظر: الوسطية في القرآن، الصلابي، علي محمد، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ. (ص٥١).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م (ص٢٢٠).

(٣) سورة الأنعام: من الآية (٣١).

٤- غياب الأمن وانعدام الأمان، وسيادة النزاعات الطائفية والمذهبية والقومية في المجتمعات، فالشخص المتواجد في مجتمع ينتشر فيه النزاع بين أفراده، أو زعمائه، وتكثر الاضطرابات والنزاعات فيه، ويسود الخوف وتنعدم الطمأنينة فيه بالكاد سينعدم مفهوم التوازن والوسطية عنده، وسيسود سياسة التعصب والرأي الواحد لديه.

٥- انتشار الجهل وغياب الثقافة والتوعية الدينية، وغياب العلم والمعرفة والفهم الصحيح للنصوص، والدراية الكافية في الجمع بين الأدلة، فلا شك أنها آفة في المجتمعات وهي من أهم أسباب غياب منهج التوازن، وانحصار الفكر باتجاه واحد، وبالتالي تسبب الانزواء في الأفكار، أما أن وجدت البيئة العلمية والثقافية المناسبة، سيظهر منهج التوازن جليا، وليس أدلّ على ذلك من أن علماء الأمة المبدعين كانوا يعيشون في المراكز العلمية والثقافية الكبرى على امتداد التاريخ الإسلامي، ومع هذا لم تحصل بينهم تناحرات وتقاطعات، ولم يكفر أو يفسق أو يبدع بعضهم الآخر، مع أن الكثير منهم كانوا يعيشون في زمان واحد وأحيانًا في بلد واحد.

٦- سياسة الإقصاء والتهميش التي تنتهجها الأنظمة السياسية تجاه بعض الفرق والمذاهب دون البعض الآخر، بل أحيانًا تشجع أهل الغلو والتطرف على الحركات المعتدلة بل وتحاربها أحيانا وتضيق عليها، مما يمهد طريقا للأفكار المتشددة المتطرفة.

٧- التعصب المذموم والاستبداد بالرأي وخاصة في المسائل الخلافية الفرعية التي تحتمل أكثر من رأي، فنجد أن هنالك من يتعصب لرأيه في مسألة فرعية فيها عدة آراء، ومن صور النهي عن التعصب في سيرة النبي ﷺ أنه قَالَ في يَوْمَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ»[1]، فدل هذا الحديث على جواز اختلاف الآراء ما دام الأمر يحتمل التأويل، والأمثلة في هذا كثيرة، فلا بد من التسامح، والبعد عن التعصب، وعدم تسفيه الآخرين، أو تبديعهم أو تكفيرهم، وأجمل ما جاء في هذا الباب قول شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «فما دخل في هذا الباب مما نهى الله عنه ورسوله من التعصب والتفرق والاختلاف والتكلم بغير علم: فإنه يجب النهي... وأما من ترجح عنده فضل إمام على إمام أو شيخ على شيخ بحسب اجتهاده كما تنازع المسلمون: أيهما أفضل الترجيع في الأذان أو تركه؟ أو إفراد الإقامة أو تثنيتها؟ وصلاة الفجر بغلس أو الإسفار بها؟ والقنوت في الفجر أو تركه؟ والجهر بالتسمية؛ أو المخافتة بها؛

(١) صحيح البخاري (١٤٣/٥).

أو ترك قراءتها؟ ونحو ذلك: فهذه مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة فكل منهم أقر الآخر على اجتهاده من كان فيها أصاب الحق فله أجران ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر وخطؤه مغفور له فمن ترجح عنده تقليد الشافعي لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي ونحو ذلك...لكن إن كان الرجل مقلدا فليكن مقلدا لمن يترجح عنده أنه أولى بالحق فإن كان مجتهدا اجتهد واتبع ما يترجح عنده أنه الحق ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها»[1].

٨- المغالاة في الحب والتقدير لبعض المشايخ والعلماء فينظر إلى أخطاءهم بمنظر التبرير والحسن، وينظر إلى أخطاء خصومهم بمنظر التهكم والتشهير وما يصدر من صواب منهم يسيء الظن فيه فيغالي في كرههم، وكل هذا سببه غياب التوازن والوسطية، فيضطرب ميزان التوازن لدى المغالي، فيقوده إلى الإجحاف ومجانبة الحق في تقويم الأشخاص والآراء والمواقف، وعدم التماس الأعذار لمن له عذر؛ فتصبح الكبائر التي يعملها المتعصب وجماعته من اللمم، في حين تصبح الصغائر والاجتهادات الخاطئة من الكبائر حين تقع من خصومه.

٩- ظهور بعض الدعاة الجدد من المتحمسين للدعوة الذين تأخذهم الغيرة على الدين ولكنهم ليس لديهم علم بمقاصد الشريعة والموازنات فيها، حيث ركز بعضهم على المفاسد المترتبة من الأخذ ببعض القضايا المعاصرة، دون مراعاة لما فيها من مصالح، وهنالك من ركز على ما فيها من المصالح بغض النظر عن المفاسد المترتبة عليها، وكلا الطرفين لم يهتدي إلى الحق، فالحق هو الموازنة؛ فما كان فيه الخير والصلاح في الدين والدنيا أُخذ به ولو كانت فيه مفسدة قليلة، وما كان فيه الشر والفساد فيترك ولو ظهرت فيه بعض المصالح، وهذه النظرة الأحادية والتعصب تُوقِع أصحابها في مصادمة دائمة مع إخوانهم، بل توقعهم أحيانا في مصادمة بعضهم البعض، «فليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين»[2].

١٠- حظوظ النفس والشيطان، فهذان العدوان الأساسيان للإنسان، وأكثر من يجافي مبدأ التوازن والوسطية بسببهما، يقول ابن القيم رحمه الله: «ودينُ الله بين الغالي فيه والجافي عنه... وما أمر الله بأمر إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان: فإما إلى غلو ومجاوزة، وإما إلى تفريط وتقصير؛ وهما آفتان لا يَخْلُص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلاَّ مَنْ مشى خَلْف رسولِ الله ﷺ، وتَرَكَ أقوالَ الناس وآراءَهم... وأكثر الخلق

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٩٢/٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤/٢٠).

يكون مُقصِّرًا مُفرِّطًا في بعض دينه، غاليًا مُتجاوزًا في بعضه؛ والمهدي مَنْ هداه الله»[1].

١١- شيوع مظاهر البطالة ونقص الخدمات، وخاصة في الأحياء الهامشية المتطرفة حيث تنعدم فيها أبسط مقومات الحياة الكريمة، ويقل فيها التعليم، وتضعف فيها التوعية الثقافية والتربوية والعلمية، فتكون بؤرة مناسبة لتواجد الأفكار المتطرفة والمتشددة.

١٢- الفهم المغلوط لتحديد الفرقة الناجية التي أخبر عنها عليه الصلاة والسلام وورد ذكرها في الحديث، فالمتعصب البعيد عن منهج التوازن يعتبر أن الجماعة أو المجموعة التي ينتسب إليها هي الفرقة الناجية التي ذكرت في الحديث، وما عداها في النار، وهم متواعدون أن يموتوا ميتةً جاهلية[2].

١٣- قصور الأسرة في زرع روح التوازن والوسطية في نفوس أبناءها، فتجد أن أغلب المتطرفين والمتعصبين يخرجون من أسر ذات ثقافة دينية أو مذهبية متعصبة متشددة، أو من أسر تفتقر إلى المعرفة بالأحكام الدينية في أطرها الصحيحة، فقد تكون الأسرة متدينة ومحافظة، ولكنها قد تكون في نفس الوقت متعصبة متشددة تفتقر إلى منهج التوازن والوسطية؛ فيخرج من هذه الأسر من ينتهج منهج التعصب والرأي الواحد.

١٤- الغلو والإفراط في الحكم على الناس، سواء بالتكفير أو التبديع أو التفسيق، فإن الحكم في هذه الأمور على الأشخاص هو لله تعالى ورسوله ولأهل العلم الراسخين، بما دل الدليل القاطع عليه، أما القول بالأهواء وبغير علم ولا دليل لأجل شبة فهو من الغلو الفاحش الذي نخر في جسد الأمة، وفرق شملها، وأراق دماء أبناءها، وساهم في نشر البغض والشحناء بين أبناء المسلمين، وللأسف ابتليت الأمة بمن يدعون السلفية والسلفية منهم براء فغالوا في الحكم على الناس، حتى بلغ بهم الأمر على تبديع الناس كلهم، وقد أجاد الشيخ الدكتور عبد المحسن العباد في الرد على هؤلاء ونصحهم وتحذيرهم في كتابه: «رفقًا يا أهل السنة بأهل السنة»... نسأل الله العفو والسلامة.

المطلب الثاني: أهم الوسائل والحلول التي تسهم في إحياء ثقافة التوازن:

١- يجب على السلطات أن يكون لها الدور الكبير والفعال في نشر ثقافة التوازن والوسطية، ولا تكون هذه الرعاية إلا في ضوء التوازن وفق الكتاب والسنة، ومنهج العلماء الربانيين، وبيد أولي الأمر

(١) الروح، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١ه)، دار الكتب العلمية، بيروت, ط١،١٩٧٥م (ص٢٥٧).

(٢) ينظر: الوسطية في القرآن وأثرها في الوقاية من الجريمة (ص١٣٥).

من المسؤولين العادلين، فتتحقق وتزدهر ثقافة التوازن، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ومن واجبات السلطات الوقوف بوجه من يحملون أفكار الغلو والتطرف، وعدم تمكينهم من تسنم المواقع الحساسة في الدولة وخاصة تلك التي يكون لها التأثير المباشر في المجتمع، كالمساجد، والمدارس، والمراكز البحثية والثقافية، وفي الجانب الآخر يجب دعم المجموعات والأشخاص الذين يحملون فكرا متوازنا وسطيا، وتشجيعهم، وعدم التضييق عليهم وفسح المجال لهم في نشر أفكارهم المتوازنة الوسطية في المجتمع.

٢- يجب على الإمام والخطيب أن يكون له الدور الفعال في نشر ثقافة التوازن والوسطية، فلا بد أن يوازن كلماته وخاصة عند الحكم على الناس، وأن تكون خطبه ودروسه وآراءه الدينية، تنهل من منهل السلف الصالح والعلماء الربانيين، فيأخذ من جميع المذاهب، ويفتي بما فيه المصلحة للناس، ومتى ما كان القائمون على المساجد يحملون هذا الفكر فالمسجد سيكون منطلقا ومرتعا لنشر منهج التوازن والوسطية، ووسيلة للتحذير من الجماعات المتطرفة المغالية، فالمسجد هو مكمل لبناء المجتمع، وهو ينمي الفضائل الحسنة ويغذيها[١].

٣- يجب على المؤسسات التربوية والتعليمية تحمل المسؤولية في نشر ثقافة التوازن والوسطية، وتصحيح المسار، ومعالجة الانحرافات الفكرية من خلال مناهجها الدراسية، وأنشطتها المتنوعة، ولا بد من تصفية المناهج الدراسية وتنقيتها من كل الأفكار والآراء والتعاليم المتشددة، ولا بد للمعلم والمدرس والأستاذ الجامعي، أن تكون له بصمة في نشر ثقافة التوازن والوسطية في جميع النواحي والاختصاصات.

٤- دور الأسرة في ترسيخ ثقافة التوازن ونبذ التعصب والغلو، فالأسرة هي أول بيئة تربوية للفرد، فتتشكل شخصيته حسب الأفكار السائدة بين أفراد أسرته، فالأسرة المتوازنة تربي الطفل منذ الصغر على منهج التوازن والوسطية في كل شيء من مأكل ومشرب وملبس والأهم من ذلك تربيه على تبني الأفكار المتوازنة الوسطية، وهذا بدوره ينشئ شخصية متوازنة معتدلة محصنة ضد الأفكار والآراء المتشددة أو الآراء والأفكار المتحللة المفرطة، فالأسرة هي البذرة الأولى والمحرك الأساس لسلوك الأبناء فيما بعد[٢].

---

(١) ينظر: دور المسجد في التربية والتعليم وعلاج انحراف الأحداث، عبد الله بن أحمد قادري الأهدل، المركز العربي، الرياض، ١٤٠٧هـ (ص٣٢١).

(٢) ينظر: الطريق إلى الولد الصالح، وحيد بالي، دار البيضاء، الرياض، ط١، ١٩٩٠م، (ص٢٢).

٥- دور وسائل الاعلام في نشر ثقافة التوازن والوسطية، فالإعلام يلعب دورًا مهمًا في حياة الفرد والمجتمع في التوعية والإرشاد والتحذير من مخاطر الغلو والتطرف، ويساهم بشكل فعال في تحقيق ثقافة التوازن وانعكاساته الإيجابية على الفرد والمجتمع، ولكي تتحقق هذه الأهداف لا بد لوسائل الإعلام أن تقوم على استراتيجية واضحة الأهداف، ووفق منهج مدروس ومعد مسبقا، من قبل كادر مختص ينتهج منهج التوازن والوسطية، ولديهم الخبرة والدراية والفهم العميق ويتقبل الأفكار والآراء الأخرى، وأن يكون هذا الكادر من أولوياته إرساء قواعد التسامح وتحقيق السلم الأهلي، ونبذ مظاهر الفرقة والتفكك.

٦- اتخاذ القدوة الحسنة، فالقدوة الحسنة معناها اتخاذ الآخرين مثالا والتأسي بهم في القول والفعل، وهي وسيلة تربوية دعوية مُهمَّة، والقدوة الحسنة ترشد المسلم إلى التوازن والوسطية خاصة إذا كانت قدوته متوازنة، فلا يغالي ولا يتشدَّد ولا يتعصب، وفي نفس الوقت لا يتراخى ويتساهل، ووجود قدوة في حياة الأشخاص له أهمية كبيرة وفوائد كثيرة، حيث إنها تسهم في توفير الوقت والجهد على الآخرين في زرع روح التوازن، وتساهم في تنمية وزراعة السلوكيات والصفات المتوازنة لدى الأبناء، فتواجد الأشخاص في مجتمع سليم ومليء بالقدوة الحسنة التي تنتهج منهج التوازن والوسطية، يجعل من الفرد مليء بالمشاعر الإيجابية المتوازنة، فطبيعة الإنسان تتأثر بالأشخاص المؤثرين وتقلدهم.

٧- الصبر وسعة الصدر، وهو من أهم وسائل تحقيق ثقافة التوازن، ويتضح ذلك في تحمل آراء الآخرين ومبادلة السوء والغيض بالإحسان والعفو، ويساعد الصبر في التقليل من مستوى التوتر، فالشخص الصبور باستطاعته السيطرة على عواطفه، وهو أكثر قدرة في التعامل مع الأوضاع والمواقف الصعبة باتزان وسهوله، والمتحلي بالصبر، يمتلك القدرة على اتخاذ القرارات المتزنة، لأنه ينظر إلى الأمور من كل الجوانب، ويزن كل خطوة يخطوها، وتتراجع نسبة الخطأ في المسائل التي يحلها، لأنه يقيم الأوضاع بصبرٍ وتروٍ، ويساهم الصبر بشكل فعال على تطوير مفاهيم التفاهم والتعامل مع الآخرين، فالشخص الصبور أكثر تفاهمًا واتزانًا مع الآخرين، مما ينعكس ايجابا على علاقاته التي يخوضها في حياته العملية والنقاشية.

٨- التكيف ومعايشة الأحداث وفق فقه الواقع وبما يتناسب مع الأحوال التي يعيشها المجتمع، والمحافظة على مبدأ التوازن والوسطية دون الإخلال بالثوابت والأصول العامة.

الخاتمة

وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

أولا: النتائج:

١- إنَّ الإسلام هو دين التوازن والوسطية، وهو الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية بما يتلائم مع واقعهم وحياتهم المعيشية وفطرتهم السوية.

٢- الإسلام ذمّ الإفراط والتفريط والغلو والتطرف بكلّ مسمياته وأشكاله.

٣- إنَّ أفكار التطرف والتنطع تؤدي إلى الاختلاف والتشرذم وتكفير المسلمين وقتالهم بغير و جه حق.

٤- التوازن والوسطية هو منهج النبي ﷺ والسلف الصالح رضوان الله عليهم وهو الطريق القويم الى رضا الله تعالى، ونيل جنته، فالوسطية هي السلفية الحقيقية.

٥- إنَّ التوازن والاعتدال له أهمية أساسية، في تحقيق الاستقرار لدى الفرد والمجتمع والبشرية جمعاء، وأنه يمثل انعكاسات إيجابية في التسامح والتعايش، وتحقيق السلم الأهلي المشترك.

٦- إنَّ التطرف والتعصب والغلو يتستر تحت عناوين عدّة من أهمها العناوين الدينية والطائفية.

٧- إن أهم أسباب تحقيق التوازن في المجتمع غياب الوعي والفكر الوسطي المعتدل.

ثانيا: التوصيات:

١- على الحكومات والجهات المسؤولة أن تقوم بواجبها الحقيقي تجاه نشر وفرض ثقافة التوازن والتسامح والوسطية.

٢- العمل على تحصين الفرد والمجتمع بالفكر المتوازن المعتدل وفق القيم الإسلامية، ونشر الفكر الديني البعيد عن الغلو والتطرف.

٣- زيادة التوعية والإرشاد بأهمية التربية على منهج التوازن في الإسلام في جميع شؤون الحياة، على مستوى الأفراد والجماعات وعن طريق المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية.

٤- متابعة المساجد واستبعاد بعض القائمين عليها ممن ينتهجون فكرا متشددا.

٥- تكثيف الأنشطة والبرامج والمحاضرات التوعوية والندوات واللقاءات البنّاءة من قبل

منظمات المجتمع المدني، والمراكز البحثية والثقافية، التي تهتم بترسيخ ثقافة التوازن والوسطية في المجتمعات.

٦- استحداث أقسام في الجامعات والمعاهد والمدارس تعتني بنشر ثقافة التوازن والوسطية.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.
• الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٩٩٩م.
• الاتزان الفكري والتعايش مع الاختلاف، مقال على الشبكة العنكبوتية للكاتب اليمني أحمد على الكوماني: (https://yemen-press.net/article2838.html).
• أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء العقيدة، عثمان جمعة ضمير، دار الأندلس، جدة، ٢٠٠٠م.
• إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
• أدلة القرآن في الكتاب والسنة، د. محمد بن عمر بازمول، بحوث ندوة تحقيق الوسطية ودفع الغلو.
• الاعتدال الديني في الاسلام، يوسف عيدان عقيل، شبكة النبأ، الكويت، العدد (٨١)، ٢٠٠٦.
• تجديد الفكر الإسلامي، د. محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٦٩.
• جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
• تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٠،١م.
• التنازع والتوازن في حياة المسلم، د. مُحَمَّد بن حَسَن بْن عَقيل مُوسَى الشَّرِيْف، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، جدة. التنازع والتوازن في حياة المسلم، د. مُحَمَّد بن حَسَن بْن عَقيل مُوسَى الشَّرِيْف، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، جدة، (د ط)، (د ت).
• الجامع الصحيح المختصر=صحيح البخاري، البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٦١هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
• الجامع الصحيح (صحيح مسلم): أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت.
• خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
• دور الأسرة المسلمة في تفعيل قيمة الوسطية كمنهج حياتي للشباب، د. حنان محمد درويش،

مقال على صفحة الدكتورة على الفيسبوك: https://www.facebook.com

• دور المسجد في التربية والتعليم وعلاج انحراف الأحداث، عبد الله بن أحمد قادري الأهدل، المركز العربي، الرياض، ١٤٠٧هـ.

• الروح ، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١ه)، دار الكتب العلمية، بيروت, ط١،١٩٧٥م.

• روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

• الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

• سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م .

• سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.

• شرح العقيدة الواسطية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٩٠٧م.

• شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.

• شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

• صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

• الطريق إلى الولد الصالح، وحيد بالي، دار البيضاء، الرياض، ط١، ١٩٩٠م.

• الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، الإسفراييني، أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

• فطرة الله توازن ووسطية اعتدال وحنيفية، د. مصطفى العزوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨،

• الفوائد المنثورة، خطب ومحاضرات، كلمات ومقالات، عبد الرزاق بن محسن البدر، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

• في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ.

• القاموس المحيط، الفيروزآبادى، أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

• لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي جمال الدين (ت ٧١١هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

• ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٨٨م.

• المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

• مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩م.

• الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري (ت١٤٣١هـ)، وزارة الأوقاف-السعودية، ط١، (د ت).

• معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

• المعجم الوسيط، تأليف: (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة.

• مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني مادة (فكر) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار العلم دمشق، والدار الشامية، ببيروت، ط١، ١٩٩٢م.

• مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، ط١٩٩١،١م.

• ملامح حقق الإنسان في التشريع الإسلامي، محمود محفوظ، بحث على الشبكة العنكبوتية: (https://:www.annabaa.org/arabic/rights/20418).

• المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٩٩٥م.

• موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

• نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز شمس الدين (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٩٩١م.

- وسطية الإسلام، أحمد عمر هاشم، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، عبد العزيز عثمان شيخ محمد، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م.
- الوسطية في القرآن، د. الصلابي، علي محمد، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر بن سليمان العمر، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.